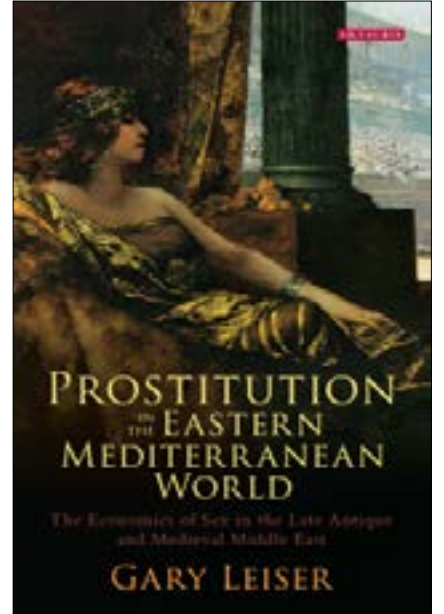


## تاريخ



يتعامل «البغاء في عالم البحر المتوسط القديم - اقتصاد الجنس في الشرق الأوسط القديم والوسيط» (Taurus 2017) مع مادة نادرة ما تتعرض لها الدراسات السوسولوجية المرتبطة بمجتمعات شرق المتوسط وجنوبه، مع أن الجنس يعد من أقوى المؤثرات في السلوك البشري.

مؤلفه غيري لايزر، الحاصل على شهادة الدكتوراه في تاريخ الشرق الأوسط من «جامعة بنسلفانيا» وأصدرت مؤلفات عديدة عن تاريخ الإقليم، يقول إن هدف المؤلف تأسيس إطار عام للأبحاث المستقبلية والإجابة عن بعض الأسئلة الأساس، وكذلك البحث على طرح أسئلة أخرى.

موضوع المؤلف الرئيسان هما: الاستمرارية المدهشة في مسألة ممارسة البغاء في المرحلة الانتقالية من الحكم المسيحي إلى الحكم الإسلامي. أما الثاني، فهو ضرورة النظر إلى البغاء كونه مؤسسة خدمية اتخذت أشكالاً مختلفة في أزمنة متفاوتة وأمكنة مختلفة، ضمن حدود موضوع المؤلف.

من هذا المنطلق، فإن الكاتب لا يقبل تعريف البغاء أو شرحه على أنه «أقدم مهنة في تاريخ البشرية». هذا، برأيه، ادعاء عتيق مبسط يعكس جهل من يتناها، أو أنه «أسوأ أشكال استغلال المرأة في العصور الوسطى»، وهو ادعاء فكري قائم على أفكار مسبقة، وكلاهما رأيان ساكنان يعكسان نظرة ذات بعد أحادي.

تعامل الكاتب مع المادة من منظور تاريخي، فقسم المؤلف إلى الفصول الآتية: «بائعات الهوى في شرق المتوسط في العصور القديمة»، «بائعات الهوى في جزيرة العرب في العصور الوسيطة»، «بائعات الهوى في مصر في العصور الوسيطة»، «بائعات الهوى في بلاد الشام في العصور الوسيطة»، «بائعات الهوى في الأناضول في العصور الوسيطة»، وأنهى الكاتب المؤلف بفصل اعترضه يحمل عنوان «البغاء كمحفز للتجارة مع الأقاليم البعيدة».

يقرّ الكاتب بوجود معوقات أمام عمل مماثل، أولها أن الحديث في موضوع الجنس كمنشآت خدمية مشحون بالمصطلحات الأخلاقية، ملاحظاً أن المصطلح الإنكليزي، وكافة اشتقاقاته ذات أبعاد أخلاقية، ما يقيد أي بحث موضوعي. هذا تحديداً ما دفعه إلى عدم قبول المصطلح السائد prostitution، فيوظف عبارة public woman بدلاً من prostitute. ويقدم تعريفاً للبغاء خاصاً بهذا العمل هو «بيع النساء خدماتهن الجنسية للرجال على نحو متواتر وخال من التمييز».

المعوق الرئيس الثاني الذي لفت الكاتب الانتباه إليه، هو غياب صوت بائعات الهوى ومعرفة موقفهن ورأيهن في هذه المهنة/الخدمة وفي الزبائن، ولا تعرف تجاربهن الشخصية، إضافة إلى أن المراجع التي تتحدث عن الموضوع جاءت دائماً بقلم رجال. وفي هذا المقام، يلفت الكاتب إلى حقيقة عدم توافر أي أعمال بلسان الرجال الذين كانوا يمارسون مهنة تعدها العامة «مهينة/قدرة»، مثل القصابة والدباغة.

ويضاف إلى ذلك كله عدم توافر أي مؤلفات تعود إلى العصور موضع البحث متخصصة في هذه المادة بما يفرض على الكاتب البحث في جمل وملاحظات متناثرة في أعمال كثيرة من شعر، وأدب، ورحلات، وكتب في التاريخ والطب والجغرافيا والتجارة وغيرها، وهو ما قاده إلى تفحص المراجع الأولية والدراسات الأكاديمية تفحصاً دقيقاً، مقدماً ترجمات دقيقة للنصوص ذات العلاقة، ومثرياً المؤلف بمصورات عديدة. عثر الكاتب في كتابات الإخباريين على إشارات،

## «مهنة» تعكس التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها المنطقة

# غيري لايزر موثقاً صناعات

نادراً ما تقارب الدراسات السوسولوجية المرتبطة بمجتمعات شرق المتوسط وجنوبه، موضوع الدعارة. مع أن الجنس يعد من أقوى المؤثرات في السلوك البشري. من هنا تأتي أهمية كتاب «البغاء في عالم البحر المتوسط القديم - اقتصاد الجنس في الشرق الأوسط القديم والوسيط» (Taurus 2017). نظراً إلى ندرة المواد والمعلومات المتوافرة. لجأ المؤلف إلى ملاحظات متناثرة في أعمال كثيرة من شعر، وأدب، ورحلات، وكتب في التاريخ والطب والجغرافيا والتجارة

سيغوونهم! يذكر الكاتب القراء بأن علماء الآثار عثروا على بقايا بيوت الهوى في مدينة بيسان الواقعة حالياً في فلسطين المحتلة، والتي كانت في القرن السادس أحد أهم المراكز العسكرية البيزنطية، إضافة إلى مثيلاتها في المدينتين المرفاً، قيسارية وعسقلان. وإلى الشمال من هاتين المدينتين، عثر على آثار ممارسة البغاء في صور، التي كانت عاصمة إقليم سورية - الفينيقية، وضم كلاً من دمشق وحمص وتدمر حيث تتوافر فيها وفي دورا أوروبوس - الصالحية وفي الرها وأمد وأنطاكية وغيرها، شواهد كتابية على حضور البغاء وبيوت الهوى فيها. أما عبد الجبار بن أحمد (1025 ت س)، فكتب أن مدن بيزنطة تعج بدور الهوى.

كما يذكر الكاتب بحقيقة أن الإمبراطورة ثيودورا، زوج الإمبراطور البيزنطي جستنيان، وهي قديسة التوب عن الخطايا في الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية وحتى الإنجيلية، أي البروتستانتية، كانت بائعة هوى.

وثمة أدلة أخرى في أوستراكا عثر عليها في جزيرة الغيلة في مصر العليا على موقف الدولة من البغاء حيث تعاملت معهن تعاملًا مباشراً، وسمحت لهن ببيع خدماتهن الجنسية في مدن

من عهد كاليغولا (41-37 ت س). كما استعان بأعمال القديس ثيوفانس المعترف (760 - 818 ت س) الذي كتب أن أسقف الإسكندرية ثيوفيلوس، طلب من الإمبراطور ثيودوسيوس (38-90 ت س) السماح بتطهير معبد سراپيس في الإسكندرية وتحويله إلى كنيسة، مشيراً إلى ممارسات الوثنيين الجنسية فيه. كما تتوافر شهادة أخرى

### استمرارية مدهشة في ممارسة البغاء من الحكم المسيحي إلى الحكم الإسلامي

من ورقة بردى، تعود إلى القرن الرابع تحوي خبر مطالبة امرأة بالتعويض عن مقتل ابنتها بائعة الهوى لفقدانها دخلها الذي كانت تعطيه للقواد.

كما يعثر على إشارات تعود إلى القرن الرابع لانتشار البغاء في مدينة القدس التي كانت بلدة محلية لا مدينة، وقد ارتبط ذكرها ب «ممارسة الرذائل». بل إن أحد آباء الكنيسة، وهو القديس غريغوريوس النيصي (395-330 ت س)، اعترض على الحج إلى القدس لأن بائعات الهوى فيها



تصوير جصبي على طاس يعود إلى العهد الفاطمي (من الكتاب)

